جامعة المستقبل
كلية العلوم
قسم الفيزياء الطبية

اسم المادة الدراسية: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الثانية

عنوان المحاضرة: من سورة الأسراء الآيات [٢٣_٢٩]

المحاضرة الأولى

اسم التدريسي: م. م. محمد علي حسين

"من حقوق الله إلى حقوق الخلق

بناء المجتمع المتوازن في ضوء القرآن الكريم"

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ
أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٥

وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٢٦

إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ٢٧

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ٢٨

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ٢٩ ﴾

صدق الله العلي العظيم

تأتي هذه الآيات الكريمة في سورة الإسراء (سورة بني إسرائيل) ضمن وصايا جامعة لتأسيس مجتمع إسلامي متكامل، تبدأ بحق الله تعالى وتتدرج إلى حقوق الوالدين، ثم تنتقل إلى الحقوق الاجتماعية والاقتصادية. وهي نموذج رائع للتوازن بين العبادة والمعاملة، وبين الحقوق والواجبات، وبين المشاعر الداخلية والسلوك الخارجي.

أولًا: التحليل الموضوعي المتكامل:

١. الوحدة الموضوعية للآيات:

تبدأ الآيات بأعلى الحقوق (حق الله في العبادة) ثم تأتي بأعلى الحقوق البشرية (حق الوالدين)، ثم تتسع الدائرة لتشمل حقوق القرابة والمحتاجين، وتنتهي بضوابط التعامل المالي والاجتماعي. هذا تسلسل هرمي منطقي، يربط العلاقة مع الخالق بالعلاقة مع المخلوق.

٢. الشرح التفصيلي والمفاهيمي:

أ) حَقُّ اللهِ الْأَعْظَمُ وَحَقُّ الْوَالِدَيْنِ (الآية ٢٣):

· "وَقَضَىٰ رَبُّكَ": "قضى" هنا بمعنى أوصى وأمر تأكيداً وبياناً لأمر عظيم. وتقرن فريضة التوحيد (أَلَّا تَعبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ) بالإحسان للوالدين مباشرة دون فاصل، مما يدل على عظم مكانة بر الوالدين في الإسلام. فهما سبب وجود الإنسان وأول من يتلقى منه الحنان والرعاية.

· "إِمَّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ": التوجيه هنا خاص بحالة الضعف والشيخوخة، حيث تنتقل الأدوار، فيصبح الابن هو القوي والوالدان هما الضعيفان. هذا اختبار حقيقي للإحسان.

· "فَلَا تَقُل لهُمَا أُفٍّ": النهي عن أدنى أنواع التضجر والتأفف، وهو كلمة خفيفة لكنها تحمل ألماً نفسياً كبيراً للوالدين. وهذا يدل على أن الإسلام يرعى المشاعر الداخلية قبل الأفعال.

· "وَلَا تَنهَرهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَولا كَريما": النهي عن رفع الصوت والتوبيخ، والأمر بالكلام اللين المحترم المليء بالتبجيل والتوقير.

ب) ذُّلُّ الْمَحَبَّةِ وَدُعَاءُ الْوَالِدَيْنِ (الآية ٢٤):

· "وَاخفِض لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمَةِ": صورة بلاغية رائعة، تشبه تخفيف الابن جناحه تواضعاً وخضوعاً للوالدين، ولكن هذا الذل والخضوع نابع من الرحمة والشفقة، لا من المذلة والمهانة. إنه تواضع المحب الحاني.

· "وَقُل رَّبِّ ارحَمهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا": هنا يوجه القرآن الابن إلى الدعاء للوالدين، وهو أعظم هدية يمكن أن يقدمها، خاصة بعد مماتهما. والدعاء بأن يرحمهما "كما رباني صغيرا" يربط الجزاء بالمثل، وهو مبدأ قرآني عظيم (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان).

ج) طمأنة النفس البشرية ومغفرة الله (الآية ٢٥):

· "رَّبُّكُم أَعلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُم": تذكير بعلم الله الشامل بالنية والمشاعر الداخلية، حتى تلك التي لا يطلع عليها أحد. هذه الآية تمنح طمأنينة للمؤمن وتنبيهاً في نفس الوقت.

· "إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّبِينَ غَفُورا": وعد بالغفران للمؤمنين الصالحين التوابين الذين يلتزمون بهذه التوجيهات ويرجعون إلى الله عند التقصير. (الأواب: الكثير الرجوع إلى الله).

د) اتساع دائرة الحقوق وضوابط الإنفاق (الآيات ٢٦-٢٧):

· "وَءَاتِ ذَا القُربَىٰ حَقَّهُ وَالمِسكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ": بعد الأسرة المباشرة (الوالدين) تأتي الأسرة الممتدة (ذوي القربى)، ثم المحتاجون في المجتمع (المسكين)، ثم المنقطع به في السفر (ابن السبيل). هذه شريحة واسعة تغطي معظم أنواع المحتاجين.

"وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا": يضع القرآن ضابطاً مهماً: العطاء يجب أن يكون في إطار الاعتدال، وليس بإسراف أو تبذير. التبذير هو صرف المال في غير وجهه الحق، أو تجاوز الحد المعقول في الصرف حتى على وجوه الخير.

· "إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخوَٰنَ الشَّيَٰطِينِ": تشبيه قوي، فالمبذر يسلك مسلك الشيطان في العدوان على النعمة وعدم شكرها، ويتشارك معه في صفة الكفران للنعمة. "وَكَانَ الشَّيطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورا".

هـ) آداب التعامل عند العجز عن العطاء (الآية ٢٨):

· "وَإِمَّا تُعرِضَنَّ عَنهُمُ ابتِغَاءَ رَحمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرجُوهَا": أي إذا أعرضت عن العطاء لأنك نفسك فقير أو تنتظر رزقاً من الله، فلا ترد السائل بقسوة.

· "فَقُل لَّهُم قَولا مَّيسُورا": أي بكلام طيب ليّن، يعتذر بلطف ويبشر بالخير. فالكلمة الطيبة صدقة.

و) مبدأ الاعتدال المالي (الآية ٢٩):

· "وَلَا تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ": صورة للبخل الشديد، حيث تكون اليد ملتصقة بالعنق كالمغلول، لا تتحرك للعطاء.

- "وَلَا تَبسُطهَا كُلَّ البَسطِ": صورة للإسراف والإنفاق بلا حساب.

- "فَتَقعُدَ مَلُوما مَّحسُورًا": العاقبة الوخيمة للتطرف:

- "مَلُومًا": (في حالة البسط والإسراف) تلقى اللوم من نفسك وأهلك لتفريطك.

- "مَحسُورًا": (في حالة البخل أو الإسراف) تكون عاجزاً مُتعَباً، مفلساً أو معدماً، لا تقدر على تلبية حوائجك.

ثالثاً: الدروس المستفيدة والتطبيقات المعاصرة:

١. التكامل بين العبادة والأخلاق: لا يكتمل إيمان العبد بحقوق الله حتى يكمل حقوق العباد، بدءاً من أقرب الناس (الوالدين).

٢. رعاية كبار السن: تقدم الآيات دستوراً متكاملاً للتعامل مع الشيخوخة: رعاية نفسية (بتجنب التأفف) وسلوكية (الكلام الكريم) وجسدية (الذل من الرحمة) ودعائية (الدعاء لهم).

٣. الاقتصاد الإسلامي المتوازن: يرفض الإسلام كلًّا من البخل الشديد والإسراف التبذيري، ويؤسس لمبدأ الاعتدال والإنفاق في وجوه الخير دون إضرار بالنفس أو الأهل.

٤. الأخلاق المالية والاجتماعية: حتى عند العجز عن العطاء المادي، يبقى للكلمة الطيبة وقول المعذرة أجرها الكبير.

٥. بناء مجتمع التكافل: من خلال الحقوق الموصى بها (الوالدان، الأقارب، المساكين، ابن السبيل) تبني الآيات شبكة أمان اجتماعي قائمة على الروابط الإيمانية والعائلية والإنسانية.